بلاغة القرآن الكريم
المرحلة الثانية
المحاضرة الرابعة- علاقاتُ المجاز العقليّ

م.م. صالح حميد سفاح

علاقاتُ المجازِ العقليّ:

1-المَفعُوليّة: (ما بُنِيَ للفاعل وأُسند إلى المفعول)

إنَّ أشهر مثال اتكأ عليه علماءُ البلاغة في إيضاح هذه العلاقة والقياس عليها ما ورد في قوله-تعالى-: **ﭽﮬﮭﮮﭼ**[الحاقة:٢١، والقارعة:7]، وفي قوله-تعالى-: **ﭽﭟﭠﭡ ﭢﭼ**[الطارق:6]، فهنا صار المفعولُ فاعلاً في كِلتا الآيتينِ الكريمتينِ؛ لأنَّ(**رَاضِيَةٍ**) بمعنى: **مرضيَّة**، و(**دَافِقٍ**) بمعنى: **مدفوق**، فقد أُسند إلى العيشة ما هو لصاحبها، وأُسند الدفق إلى الماء بدلاً من إسناده إلى صاحبيه[1]، وأهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثيرٍ من كلامهم، كقولهم: (**سِرٌّ كاتمٌ**)، أي: مكتومٌ، و(**هَمٌّ ناصِبٌ**)، أي: منصُوبٌ، و(**ليلٌ نائمٌ**)... ونحو ذلك، وهذا من مجاز الإسناد، إذ أُسند إلى الماء ما لصاحبيه؛ مُبالغةً.

2- الفاعلية: (ما بُنِيَ للمفعول وأُسند إلى الفاعل الحقيقي)

من ذلك قوله-تعالى-: ﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا**﴾[الإسراء:٤٥]، ساتراً، أي: حجاباً ساتراً؛ لأنَّ الحجاب لا يكون إلا ساتراً، والمستور حقيقةً هو الإنسان المخاطَب وهو هنا (النبي-ﷺ-)، وإسناد المبني للمفعول: (**مَسْتُوراً**) إلى الفاعل(**ساتراً**)، من علاقة الفاعلية.

ومن أمثلة علاقة الفاعلية أيضاً، ما ظهر في قوله-تعالى-: **جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا**﴾

---

[1] قُلتُ: (**صَاحِبَيه**)؛ بناءً على أنَّه-سُبْحَانَهُ- أراد ماءَ الرجل والمرأة معاً، لأنَّ الإنسانَ مخلوقٌ منهما، لكن جَعلها ماءً واحداً لامتزاجهما، من باب إطلاق لفظ المفرد على المثنى، بدلالة إخراج الولد من صُلب الرجل وترائب المرأة. والله-تعالى- أعلم.

[مريم:٦١]، آتياً، جرياً على سنن العرب في خطاباتهم؛ لأنَّ الوعد عندهم آتٍ ومأتيٌّ، فهو مبنيٌّ للمفعول مُسندٌ للفاعل، على مذهب أهل الصَّنعة والبَيَان.

3- الزَّمَانِيَّةُ: (ما بُنِيَ للفاعل وأُسند إلى الزَّمانِ)

تتمركز أمثلةُ هذه العلاقة حول قول العرب: (**نهارُهُ صائمٌ، وليلُهُ قائمٌ**)أيضاً، من باب المجاز العقلي بإسناد ما للشَّيءِ للزَّمان كما يُسندُ للمكانِ، من ذلك قوله-تعالى-: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ**﴾ [إبراهيم:18]، فالعصفُ شدَّةُ الرِّيح، وُصِفَ به زمانُها مبالغةً، كما يقال: (**يومٌ حارٌّ، ويومٌ باردٌ**)، والبردُ والحرُّ فيهما لا منهما، وهذا الإسناد العقلي المتمثل في علاقة الزَّمانية لا شكَّ بأنَّه أبلغ وأفخم من أن يُقال: (يومٌ عاصفُ الرِّيح)؛ لما فيه من جزالة اللفظ واختصاره، فيقال: قد عَصَفَ يومُنا، وذاك كائنٌ في لغة العرب إذا اشتدت الريحُ فيه[2]، كقول جرير[3]:

لَقد لُمتِنَا يا أُمَّ غيلانَ في السُّرى   ونمتِ وما ليلُ المَطِيِّ بنائمِ

ويقال: (**يومٌ ماطِرٌ، وليلةٌ ماطِرةٌ**)، وإنَّما المطرُ فيه وفيها، مُبالغةً في الوصف.

ومن شواهد الزمانية إسنادُ الإبصار إلى النَّهار في قوله-تعالى-: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾ [الإسراء:12]، وقوله-تعالى-: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[النمل:86]، ونحو ذلك، فوصفُ النهارِ بالإبصار وهو وصفٌ للنَّاس، مبالغة في إضاءته، كأنَّه يبصر ما فيه، ففي الكلام إسنادٌ عقلي من إسناد الحديث إلى زمانه؛ لأنَّ النَّهار لا يُبصر بل يُبصرُ فيه، كقولهم: (**أبصرَ النهارُ**)، إذا صار بحالةٍ يُبصَرُ بها، والعرب وضعوا أشياء من كلامهم في موضع الفاعل، والمعنى أنَّه مفعولٌ؛ لأنَّه ظرفٌ يفعلُ فيه غيرُه؛ لأنَّ النَّهار لا يُبصرُ ولكنَّه يُبصر فيه الذي ينظر.

---

[2] يُنظر: فِقْه اللغة وَسِرُّ العَرَبِيَّةِ:327.

[3] ديوان جرير:993/2.

4- المَكَانِيَّةُ: (ما بُنِيَ للفاعل وأُسند إلى المكان)

كثُرت أمثلةُ ما بُنِيَ للفاعل وأُسند إلى المكان توسُّعاً، ومعظمها كان لأجل المبالغة في بيان المراد، من ذلك إسناد جريان الماء إلى الأنهار في قوله-تعالى-: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾[البقرة:25]، ونحو ذلك، فالأنهار جمعُ نهرٍ، وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات، والمراد الماء الذي يجري فيها؛ لأنَّ الأنهار لا تجري، وأُسند إليها توسُّعاً، فالجاري حقيقةً هو الماء، وفي هذا الإسناد من الحسن والجزالة ما اللهُ به عليم؛ إذ لو قيل: تجري من تحتها مياهُ الأنهار لذهب رَونَقُ الإعجاز، وذابت بلاغةُ الفصاحة والإيجاز، لأنّه معلومٌ أنَّه إنَّما أراد-جلَّ ثناؤه- الخبرَ عن ماء أنهارها أنَّه جارٍ تحت أشجارها وغُروسها وثمارها، لا أنَّه جارٍ تحت أرضها؛ لأنَّ الماء إذا كان جارياً تحت الأرض فلا حظَّ فيها لعيون مَنْ فوقها إلَّا بكشف السَّاتر بينها وبينه، على أنّ الذي تُوصف به أنهارُ الجنَّة، أنَّها جاريةٌ في غير أخاديد(4).

ومن شواهد علاقة المكانية ما جاء في إسناد الأمن للبلد أو القرية دون أهلها مثل قوله-تعالى-: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾[البقرة:126]، فالأمن لأصحاب البلد لا للبلد نفسه، والمراد الدُّعاء لأهله من ذريَّته وغيرهم، كقوله:﴿**عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**﴾، أي: راضٍ صاحبُها، والإسناد إلى المكان مجازٌ، كما في: (**ليلٌ نائمٌ**)، أي: نائمٌ فيه، وعلى هذا المراد أمِنَ المُلتَجِئُ إليه، فأُسند إليه مبالغةً، ويُؤكِّدُ المراد بهذا الإسناد أنَّه-تعالى- قال: ﴿**وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾، ولم يقل-سبحانه-: وارزُقْهُ، أي: البلد؛ لأجل إيضاح المراد، فاتضح وبان للعيان، فإنَّه تأمَنُ فيه حتى الظباء من الذئاب، والحمام من الحدأة، فهو إذاً من باب المجاز العقلي الذي علاقته المكانية، فوصف البيت بالأمن على سبيل المبالغة لكثرة ما يقع به من الأمن، فكان التَّقدير: آمناً مَن فيه.

ومن شواهد علاقة المكانية المشهورة قوله تعالى: **فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ**﴾[يونس:٩٨]،

---

(4) يُنظر: تفسير الطَّبَرِيّ:195/1، وتفسير أبي السُّعُود:94/1.

5- المصدريَّةُ: (ما بُنِيَ للفاعل وأُسند إلى المصدر)

اشتهرت علاقة المصدرية بمقولة: (**جَدَّ جَدُّهُ**، و**دَاهِيةٌ دَهْيَاء**)[5] وما شابه ذلك، بالإسناد إلى المصدر بدلاً من الإسناد إلى الفاعل الحقيقي لأجل المبالغة في الوصف، وهناك من الأمثلة ما يعضد هذا المثال ويُقاسُ عليه، من ذلك قوله-تعالى-: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [فُصِّلت:36]، فالنَّزغُ: شبيه النَّخس، شبَّه به الوسوسة لأنَّها تبعث على الشَّر، وجعلُ النَّزغ نازغاً على سبيل المجاز العقلي، كقولهم: (**جدَّ جدُّه**)، وأُريد: إمَّا ينزغنَّك نازغٌ، وصفاً للشيطان بالمصدر، أو لتسويله، والمعنى: وإن صرفك الشيطان عن شيء ممَّا شرعه الله لك أو عن الدَّفع بالَّتي هي أحسن، فاستعذ بالله من شره وامض على حلمك ولا تطعه.

6- السَّببيَّةُ: (ما بُنِيَ للفاعل وأُسند إلى السبب)

ظهرت هذه العلاقة في مواطن كثيرة، وكانت جميعها تدور حول إسناد الفعل إلى سببه توسُّعاً، وإن اختلفت الألفاظ والعبارات، من ذلك ما ورد في قوله-تعالى-: **چ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی چ**[البقرة:16]، أي: ما ربحوا في تجارتهم، وأصلُ الربح الفضلُ عن رأس المال، والتجارة صناعةُ التَّاجر، وأُسند الربح إليها على عادة العرب في قولهم: (**ربح بيعُك وخسرت صفقتُك**)، وهو من الإسناد المجازي، وهو إسنادُ الفعل إلى ملابس للفاعل كما هو مقرر في علم البيَان، وفائدة هذه العلاقة البلاغية المبالغة في تخسيرهم، لما فيه من الإشعار بكثرة الخسار وعمومه، ومكانه الأصلي إسناد الربح إلى أصحاب التجارة لا إلى السَّبب فيها، ولكنَّ الله-جلَّ ثناؤه- خاطب بكتابه عَرَباً فسَلَكَ في خطابه إيَّاهم وبيانه لهم مَسلكَ خطاب بعضهم بعضاً، وبيانهم المستعمل بينهم، فلمَّا

---

[5] لعل المقولة الأُلى مأخوذة من قول أبي فراس الحمداني: (**سَيَذكرني قومي، إذا جَدَّ جَدُّهُمْ .... وفي الليلة الظلماء، يُفتَقَدُ البَدْرُ**). ديوانه:165. والمقولة الثانية مأخُوذة من قول الراجز: (**قَدْ لَقِيَ الأَقرانُ منكَ نُكْرا ..... دَاهِيَةً دَهْيَاءَ إِدّاً إِمْرا**). ينظر: غريب القرآن للسجستاني:108.

كان فصيحاً لديهم قول القائل لآخر: (**خابَ سعيُكَ، ونامَ ليلُكَ، وخسِرَ بَيعُكَ**)... ونحو ذلك من الكلام الذي لا يخفى على سامعه ما يُريد قائله، خاطبهم بالذي هو في منطقهم من الكلام، فقال:﴿**فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ**﴾، إذ كان معقولاً عندهم أنَّ الربح إنَّما هو في التجارة، كما النَّومُ في الليل، فاكتفى بفهم المخاطَبين بمعنى ذلك، عن أن يقال: فما ربحوا في تجارتهم، وإنْ كان ذلك معناه.

ومن شواهد السببية قوله-تعالى-:﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[إبراهيم:36]، فعلَّة إسناد الإضلال إلى الأصنام مع أنَّهُنَّ ليس لهُنَّ أدنى إرادة كونها جمادات لا تعقل؛ لأنَّها سَبَبٌ لضلالهم، فكأنَّها أضلَّتهم، وهذا التَّركيب كقولهم: (**فتنتهم الدنيا وغرَّتهم**)، وإنَّما فُتنوا بها واغتروا بسببها.

وأيضاً فمعبوداتُهم لا تضرُّ ولا تنفع بأنفسها ولكن بسبب عبادتها، فنسب الضَّرر إليها كما في قوله-تعالى-:﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ**﴾؛ فقد أضاف الإضلال إليها من حيث إنَّها كانت سبب الضَّلال، وهذا مجاز عقلي باعتبار السَّببية على حدِّ قوله-تعالى-: ﴿**وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ [الأنعام:70]، وقولهم: (**فتنتهم الدنيا وغرَّتهم**)، بمعنى صارت سبباً للفتنة والاغترار بها، وكثيراً ما نقول: (**شَفَى الطبيبُ المريضَ**)، وإنَّما المشافي على الحقيقة هو اللهُ-تعالى-، على تقدير: (شَفَى اللهُ المريضَ بِسَبَبِ علاجِ الطبيبِ).